بفضل وحدة الشعب واستعداده الجماعي للقتال والتضحية . وهكذا بقي القسم الاعظم من فلسطين بيد العرب الى ان بدأ التدهور الذي يمكن أن نحدد علامته ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وهو ذكرى استشهاد القائد الوطني البارز عبد القادر الحسيني الذي كان يقود جيش الجهاد المقدس ، وقد قرر في ذلك اليوم خوض معركة انتحارية (معركة القسطل) كاحتجاج على الدول العربية فور عودته من زيارة لها ، رفضت فيها ، باصرار ، ان تقدم له السلاح .

والجدير بالذكر هنا ان الشعب الفلسطيني قاتل في ظروف صعبة تميزت بتآمر الحكومات العربية عليه فضلا عن التآمر الامبريالي والصهيوني ، وعن تهرؤ قيادته السياسية . وقد كان تسلحه ضعيفا للغاية مؤلفا من خليط عجيب من البنادق والمسدسات التي جعلت قوة نيرانه ضعيفة ، وحالت دون امداده بالذخيرة ، بصورة جيدة ، فقد كان سلاح الفصيل الواحد مشكلا كما اتفق من بنادق طليانية وفرنسية وكندية تعود تواريخ صناعتها لما قبل الحرب العالمية الاولى . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فقد كانت السلطات البريطانية في فلسطين قد جردته من السلاح في فترة الحرب العالمية الثانية ومن بعدها ، حيث سنت ضده قوانين صارمة ، طبقتها فعلا ، تقضي بانزال عقوبة الاعدام بكل فلسطيني يوجد في حوزته سلاح ، ولو كان بلا ذخيرة . ولهذا كان الحصول على السلاح سباقا مع الزمن ويتم بمبادرات فردية اساسا ، وبشق النفس ، وباثمان غالية ، وتحت طائلة عقوبة الاعدام .

بدأ وضع المقاومة الفلسطينية يتدهور ، كما ذكر ، بعد ١٩٤٨/٤/١٧ ، فمن جهة حصلت الوكالة اليهودية على كميات كبيرة من الاسلحة بعضها من الجيش البريطاني الذي كان يعد العدة للانسحاب من فلسطين ، وبعضها جاء عن طريق التهريب امام بصر السلطات البريطانية ومراقبتها . ومن جهة ثانية ، اتضح للشعب العربي الفلسطيني ان لا امل له بوصول اسلحة من الدول العربية . اما من الجهة الثالثة ، فقد اخذت الحكومات العربية تطمئن الفلسطينيين والعرب الا يقلقوا لان جيوشها ستتدخل ، وسيتم التحرير ، وقد جاء تبديل قرار الحكومات العربية من تزويد الشعب الفلسطيني بالسلاح والمرابطة على الحدود فقط ، الى حجب الاسلحة عن الفلسطينيين وقرار التدخل المباشر ، ضربة ساعدت على تدهور الاوضاع تحت التعلل « بأمل » الخلاص القريب . وهكذا تضافرت تلك العوامل مع تصاعد المجازر التي قامت بها المنظمات الصهيونية الارهابية تحت مظلة جيش الهاغاناه والجيش البريطاني ، ضد المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح في القرى والمدن ، وكان ابرزها مذبحة دير ياسين (٢٥٤ شهيدا بتاريخ ٩ و ١٠ نيسان ١٩٤٨) ، الى اجبار اعداد كبيرة من الفلسطينيين على هجر قراهم ومدنهم ، خاصة ، تفريغها من النساء والاطفال . ولكن اذا كان الوضع العسكري قد اخذ يتدهور الا انه لم يسفر عن تخلي المقاتلين الفلسطينيين عن اكثر مواقعهم التي راحوا يذودون عنها ببسالة ممزوجة باليأس .

أمام الغضب العارم الذي عم الشعب العربي في فلسطين وفي سائر البلاد العربية ، على قرار التقسيم ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، وانتشار اخبار تدهور الوضع في فلسطين نتيجة حجب الحكومات العربية للسلاح عن الفلسطينيين ، وجدت الحكومات العربية نفسها ، في ذلك الحين ، مضطرة الى الاعلان عن انها سترسل جيوشها الى فلسطين ، بحجة مساعدة الشعب الفلسطيني على تحرير وطنه ، ومنع قيام دولة العدو الصهيوني . ولكن الاهم ان اكثر تلك الدول ، خاصة مصر التي لم تكن راغبة في ارسال جيشها الى فلسطين ، وقعت تحت ضغط بريطاني لادخال جيوشها الى فلسطين ، فقد كانت الدول الامبريالية ، خاصة بريطانيا وامريكا ، تريد من دخول الجيوش العربية : (١) ابعاد الشعب الفلسطيني عن القتال وتحويل القضية الى قضية بين الحكومات